المعاهدة في الصحف البريطانية

•

فوجئنا من السياسة بلون جديد ينحو الى الاستفزاز بعد ذلك الاحتياط البالغ اذ حملت لنا البرقيات اقوالاً للصحف البريطانية تصف المعارضة وهي الشعور السائد في العراق بانها غير مفزعة وانها رخيصة ليست بذات اثر .

منذ أعلنت نصوص المعاهدة الجديدة — ولن اسميها باسم مكانها على رغم الانكليز تفاؤلاً بنقضها — بدأت الصحف الانكليزية تفترض لها المحاسن . وتقدر لها الجمالات وتفرغ تلك الفروض والتقادير بقوالب شعرية ولغة أقرب إلى الغزل منها إلى بحث معاهدة متصلة بآمال شعب ومصير بلاد ، ونتائج جهاد طويل أدمى نفوس أبطاله ومفكريه . والبحث في مثل هذه المعاهدة ، وعلى ضوء هذه الظروف لا يسمو إلى شيء من الاعتبار والوجاهة إذا صيغ بهذه

اللغة السطحية التي توحيها مكاتب الدعاية والاستعلامات الانكليزية رغم علمها بان الامة العربية كبرت عن أن تخدع بما يخدع به الاطفال، فهي الان في وعي إذا انضم الى تاريخها ومؤهلاتهـــا الحضارية الموروثة ينتج انها امة حية يقظة لا تليق بها هذه اللغة الـــتي تدل على جهل الصحف الانكليزية بمعالجة ما تعالجـه من الابحاث المتصلة بسياستها في بلادنا .

ومهما يكن من أمر فان بحثها للمعاهدة العراقيـــة الانكليزية الجديدة على هذا النحو أمر لا يضرنا ، وقـــد يكون وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية في نظرنا نقرأه فيما نقرأ من الافاكيه المضحكة . ونرى فيه عقلية (زنجية) في وسط انكليزي ...

ليكن هذا ولا ضير ، على اننا من جهة أخرى لا نناقش هذه الصحف حـــين تدعو الى (مصلحة انكليزية) لاننا لا ننتظر من الصحف الانكليزية ان تعق حكمها ، وتخرج على مصالح دولتها ، فلها ان تصف (معاهدتها) بما تشاء ، وتحبيهـــا باي أسلوب تراه يوصلها الى الغاية من تقريبها الى الاذهان ، وادنائها من النفوس ، ولها من حيث أسلوب البحث أن تختار لنفسها ما تشاء: الطريقـــة العلمية أو طرق الدعاية القشرية فذلك ما يتصل بها مباشرة أكثر مما يتصل بغيرها .

ولكن أمراً واحداً ليس هو من حقها ولا مما يقع في حدود صلاحيتها ان كانت على حظ من التهذيب والمعرفة والتأثر بالتيارات الانسانية الحديثة ، وهذا الامر هو أنها تعرضت لمعارضة المعاهدة في العراق فقالت: إن المعارضة ينبغي أن لا تُفزع ، ثم جعلت لبريطانيا

وصاية على الشرق كله ، وحملتها مسؤولية ما يقع فيه لتجعل لبريطانيا سلطاناً تفرض بمقتضاه ما تريد على هذا الشرق المسكين .

والواضح من هذا انها تريد أن تزرع الرعبة وتشهر سلاح الخوف في ارجاء الشرق لتلزمه بالعبودية للانكليز ، ملوحة له بشبح الحرب الروسية ، ومعنى ذلك انها تصارحنا باننا سنكون أكباشاً للتضحية عن مصالحها الخاصة مجبرين ، وفي ذلك فظاظة وغلظة لا يجملان بالحليف .. حتى الحليف المستعمر الاناني الذي يقسم الشركة بينه وبين شريكه قسمة ضيزى يستأثر هو بالمنفعة حين تدر اخلاف النعم ، ويعطي لشريكه الغرامات يتحملها وحده حين تبعث الاهوال وتتراكم المحن السود .

لم يكن من رأيي أن أعلق على المعاهدة الجديدة لاني اعتبرها — ولا مواربة في الحق — عبئاً مفروضاً على العراق دون رضاه ، (غير اني ألفت النظر الى هذه العبارة في الصحف الانكليزية المعارضة : غير مفزعة) ففيها استهانة جديدة جريئة بحق العراق ، ثم ألفت النظر الى هذا التعليل لعدم أهمية المعارضة : (لان بريطانيا مسؤولة عن الامن في الشرق) ففيه تهديد وفيه تحكم بادعاء وصاية على الشرق فات الوقت عليها ، لان الشرق بلغ رشده . ولان صلاته بالانكليز وبغيرهم يجب ان تكون على أساس المساواة في اغتنام المصالح وتأدية المغارم على السواء ، أما سياسة الرق فقد فاتها القطار .

وعلى الصحف الانكليزية ان تكون دقيقة رقيقة فيما تكتب فان في البلاد العربية صحفاً تعبر عن أماني امة ا هي الامة

العربية) لها من الحق بالحياة مثلما للانكليز ، ولها بالحكم عهد قبل أن يبلغ الانكليز حد الفطام .

سياسة الاستفزاز

ولم يأت الذي ظهر في الصحف الانكليزية من استفزاز العراق عفواً ، بل كان - كما ظهر - صادراً عن خطة ان لم تكن اخت الغرور فهي له ابنة عم ، ومهما شككنا فاننا لا نشك في الفائدة التي استثمرتها الحركة الشعبية في العراق من هذه الخطة بما ايقظت بتحديها هذا من (ذاتية) العراقي وشعوره بنفسه .

ومهما شككنا فلا نشك ايضاً بان هذه الخطة كانت مصدراً لتصريحات فخامة صالح جبر ونوري السعيد بعد سقوطهما .

ومهما شككنا بعدئذ فلا نشك في انها واتت السيد جمال بابان ، وساعدته على الاستفزاز للتحريك على عهد صالح جبر ببيانه يوم ١٩ / ١ / ٤٨ اذ فاجأ الطلاب بعد اعلانهم الخلود الى السكينة فتحداهم تحدياً اثارهم فاذا هم يتظاهرون من جديد اوسع تظاهرة واصلبها منادين بسقوط الوزارة والمعاهدة ، والاتفاقيتين الاردنية والتركية ، وارادت الحكومة ان تبر بوعدها من اصلات السيف ، غير أن الطلاب كانوا متنمرين ، فكان ما ليس منه بد والتقى الصفان بعد أن حطم الطلاب مكتب الانباء العربية واحرقوا دار (التيمس البغدادية) ، وساد الرعب يومئذ فانقطعت المواصلات واقفلت الاسواق واستغل اليهود هذا الحادث فاطلقوا النار من مكامنهم ، ولم تنته المعركة قبل ان تسجل ضحايا اكثرها من الطلاب

وبعضها من الشرطة .

ومن الحق أن معركة هذا اليوم غير المنتظرة استغلت لجهتين متناقضتين، استغلها المخربون رجاء ان تتوسع فتحدث ثورة، واستغلها المستأجرون رجاء ان تحدث فتنة أهلية تنتهي بسيادة الانكليز . غير ان القيادة الشعبية تنبهت للامر فاستدركته في وقائع الايام التالية . لذلك كانت المعركة من جانب الطلاب بعدئذ سلبية فقط، ثم كان الطلاب امناء على الامن بحق ، حفظوه من انفسهم ومن غيرهم ايضاً .